جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ / الدراسات العليا

الجزائريون في سوريا ولبنان
وأثرهم الاجتماعي والسياسي (١٨٥٥-١٩٢٧)

رسالة مقدمة

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير

في التاريخ الحديث

من قبل الطالب

غسان عدنان أحمد مطلك

بإشراف

أ.م.د. نبيل خليل إبراهيم

١٤٤٥هـ ٢٠٢٤م

Abstract

After the fall of the city of Algiers into the hands of the French in 1830, Algeria entered a new historical era, namely the colonial era. During this period, the country experienced internal developments that negatively affected its citizens, leading some of them to migrate outside their homeland. Among the prominent reasons for this migration were the colonial policies pursued by France in Algeria, aiming for European colonization, especially by the French. Another significant motivator was religious, making it one of the main reasons for migration.

The migration to the Levant (Syria and Lebanon) led to tensions between the Ottoman Empire and France regarding the nationality of the migrants. France sought political gains in Syria and Lebanon, claiming that the migrants were under its protection. This led to a Franco-Ottoman dispute, with France trying to gain advantages while the Ottoman Empire provided facilities to the migrants, granting them agricultural land and exempting their sons from military service in exchange for accepting Ottoman citizenship.

The study of the reasons for Algerians migrating to Syria and Lebanon revealed that religious motives were the primary cause. Migrants successfully adapted to life in Syria and Lebanon, with the notable influence of the Algerian resistance leader Emir Abdelkader settling in Damascus in 1855. His leadership extended to the Algerian migrants, continued by his son Mouyyad al-Din during the French-Ottoman settlement.

Economically, the Algerian migrants had a good situation, engaging in agriculture due to the Ottoman Empire granting them agricultural lands. Many also practiced various crafts. Their impact on the

scientific and cultural fields in Syria was substantial, particularly because most migrants were religious and educational figures. Notably, Emir Abdelkader had a scientific, social, and political influence in Syria and Lebanon.

Algerian scientific families, such as the Mubarak, Ya'qoubi, and Bitar families, played a crucial role in establishing numerous schools. Algerian poets felt a strong connection to their compatriots in the Levant, especially in Damascus. They also spread the Maliki school of thought, which was not prevalent in Damascus before.

Tahir al-Jazairi made significant contributions to various scientific and intellectual projects, impacting the establishment of libraries and schools. However, his advocacy for opening schools for girls faced opposition from Ottoman authorities, leading to his departure to Egypt and later returning to Damascus during the Faisal era, contributing to the establishment of the Arab Scientific Academy.

Politically, Algerians played a vital role during the 1860 civil war, led by Emir Abdelkader in protecting Christians in Lebanon and Syria, maintaining civil peace. They were nominated as leaders of the influential movement that sought independence for the Levant from the Ottoman Empire. The second generation of Algerians born in Damascus and Beirut also had political figures like Prince Ali bin Abdelkader, representing Syria in the Ottoman Parliament. Their involvement in Arab causes led to the execution of some, such as Slim al-Jazairi, during World War I.

After the Ottoman withdrawal, Algerians in Damascus contributed to founding the first government in Syria. Their stance on the Faisal era was cautious due to perceived British interference, resulting in the assassination of Abdelkader al-Jazairi and the exile of his brother Said to

الفصل الأول

الهجرة الجزائرية إلى سوريا ولبنان والخلاف العثماني الفرنسي حولها (١٨٥٥-١٩١٤)

أولاً: أثر عبد القادر الجزائري وعائلتة في توجيه الهجرة إلى سوريا (١٨٥٥-١٩١٤)

ثانياً: الهجرة الجزائرية والخلاف العثماني الفرنسي على جنسية المهاجرين الجزائريين في سوريا ولبنان (١٨٥٥-١٩١٤)

أولاً: أثر عبد القادر الجزائري وعائلة في توجيه الهجرة إلى سوريا (١٨٥٥-١٩١٤)

أ: استقرار عبد القادر الجزائري في دمشق وأثره على الهجرة الجزائرية (١٨٥٥ -١٨٨٣)

لم يكن اختيار الأمير عبد القادر الجزائري في بداية الأمر لدمشق كمقرٍ لهجرته آتياً من فراغ ، بل كان من ضمن شروط الاستسلام التي وقعها مع الفرنسيين عام١٨٤٧ [١] التَّوجه إما لعكَّا أو الاسكندرية. إلا أنَّ السُّلطات الفرنسية لم تطمئن لأطلاق سراحه، وقرَّرت حبسهُ في فرنسا. وبعد أن وصل إلى ميناء طولون مع عائلته، احتجَّ الأمير عبد القادر على ذلك، وقيل له أنَّ بعض الوقت مازال ضرورياً للحصول على جواب من الدولة العثمانية إذا كان سيذهب إلى عكا أم إلى الإسكندرية. ونُقل بعد ذلك إلى حصن امبواز (Amboise) في فرنسا مع عائلته الذي بقي فيه حتى عام ١٨٥٣م. أما اتباعه فحوِّلوا إلى سجن آخر وعوملِوا كمعتقلين سياسيين[٢].

وبعد أن تغيَّر الحكم في فرنسا إثر الكثير من الاضطرابات الدَّاخلية التي أسفرت عن عودة ابن أخ نابليون إلى الحكم الذي أصبح امبراطوراً باسم نابليون الثالث (Napoléon III)[٣]. وكان أوَّل عملٍ قام به هو أن أرسل كتاباً إلى الأمير

---

(١) كان من أهم شروط استسلام الأمير عبد القادر هي وقف العمليات العسكرية، وتعهد فرنسا بعدم التعرض الى السكان والمقاومين وإعطائهم الأمان في أمواهم وأنفسهم ودينهم، وعدم اعتراض أو منع من يريد السفر خارج البلاد، للمزيد ينظر : بسام العسلي، الامير عبد القادر الجزائري، ط٢، دار النقاش، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٥٠.

(٢) شارك هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر الجزائري، ترجمة ابو القاسم سعد الله، ط١، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٤، ص٢٥١.

(٣) هو ابن أخ نابليون بونابرت، تشارلس لويس ولد عام ١٨٠٨م ، أبوه ملك هولندا، كان للأوضاع التي عانت منها فرنسا أثر كبير في حياته ،أدى دورا مميزاً في السياسة الأوربية عموما، وفي فرنسا على وجه الخصوص، فهو المخطط للانقلاب العسكري ضد حكومة =

يقول له فيه ما معناه: "...**إن سجنك يعذبني ويقضُّ مضجعي وأشعرُ بالعار لعدم تنفيذ شروطك والوفاء بها...**" وأخبره بأنه يريد زيارته في أول فرصة ممكنه[١]. وفي السَّادس و العشرين من تشرين الأول عام ١٨٥٢ توجَّه امبراطور فرنسا نابليون الثالث إلى مدينة امبواز، وخلال جولته التقى بعبد القادر الجزائري وقال له: "**أكرر أسفي على السنين التي قضيتموها مرغمين في سجنكمِ هذا والآن يشرفني التَّعرف على عدوٍ شريفٍ وضيفٍ كريمٍ أقدّرُ دفاعهُ عن وطنهِ ورفضهِ قتالَ أبناء دينه**" ثم قدَّم له سيفاً منقوشاً عليه اسم نابليون الثالث وتاريخ المقابلة مرفقاً يقول فيه: "**هذا قرار بالوفاء بشروطكم ومساعدتكم من قبل حكومتي على السفر ومن معك إلى الدولة العثمانية حسب رغبة السلطان غازي خليفة المسلمين**"[٢]. وتمَّ إطلاق سراحه بنفس العام وتخصيص راتب له. وقال نابليون الثالث لعبد القادر: "...**وستخصص لك الحكومة الفرنسية مرتباً يليق بمكانتك وإنني على يقين من أنَّ إقامتك في تركيا لن تؤثر بأي شكل على ممتلكاتي في إفريقيا...**" [٣].

=

لويس فيليب، وتمكَّن من إعلان نفسه امبراطوراً على فرنسا في عام ١٨٥٢ وشارك في حرب القرم، وحاول مساعدة بولندا في ثورتها ضد روسيا عام ١٨٦٣ إلا أنَّه لم ينجح، خسر المعركة أمام بروسيا وأودع السجن حتى وفاته عام١٨٧٣م. للمزيد ينظر : محمد منتظر موسى، نابليون الثالث وسياسته الخارجية تجاه أوربا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٣ص١٣؛ آلان بالمر، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩ – ١٩١٥، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين، ج٢، بغداد، ١٩٩٢، ص ص ١٣٠-١٣٢.

(١) محمد باشا بن عبد القادر، تحفة الزائر، ج٢، ط١، المطبعة التجارية، الاسكندرية، ١٩٠٣، ص٣٨

(٢) بديعة الحسني الجزائري، ناصر الدين الأمير عبد القادر الجزائري بن محيي الدين الحسني، ط٢، دار سلام للترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٢، ص١٦٣.

(٣) شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص٢٦٦.

وصل الأمير إلى إسطنبول في شهر كانون الثاني من عام ١٨٥٣والتقى بالسلطان عبد المجيد الأول[١]، ومن ثمَّ سافر إلى بورصة[٢] فقضى الأمير عبد القادر الجزائري أيامه في بورصة في العبادة وتربية أبنائه وتعليمهم وإدارة شؤون المهاجرين الجزائريين المحيطين به، لكنه لم يكن مرتاحاً لوجوده وسط الأتراك خاصة مع جهله لغتهم ولكثرة الزلازل في مدينة بورصة وضواحيها مما شكل ذلك أذىً له وللمهاجرين[٣].

الأمر الذي دعاه الى التفكير بالسفر إلى دمشق، وعليه تقدَّم بطلبٍ إلى السُلطان العثماني للسماح له بالإقامة في دمشق. وأخيراً أصدر السلطان العثماني الأوامر إلى محمود نديم باشا والي دمشق بالاستعداد لاستقباله وإعداد السكن اللائق به. انتقل بعدها الأمير عبد القادر إلى مدينة بيروت ووصل إليها بتاريخ الرابع عشر من تشرين الثاني واستقبله أهلها بالتَّرحاب. وكان على رأسهم (نامق باشا) المتصرِّف العثماني وكذلك من عائلة آل أرسلان وغيرها، وبعدها انتقل إلى دمشق،

---

(١)**عبد المجيد الأول** : هو بن السلطان محمود، ولد عام ١٨٢٣ وجلس على العرش عام ١٨٣٩وكان عمره ثمانية عشر عاماً، كان كريم الأخلاق عادلاً حليماً متواضعاً محبوباً من الرعية، مثقف يملك أفكار ليبرالية، وله الكثير من الإصلاحات الداخلية والخارجية ومدة سلطنته اثنتان وعشرون صدر في عهده مرسومين إصلاحيين(فرمان الكلخانه والخط الهمايوني)، جرت حروب عديدة في عهده، اتبع سياسة مقاربة مع فرنسا وبريطانيا، توفى عام ١٨٦١ .للمزيد ينظر : شكيب ارسلان، تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق حسن سويدان، ط١، دار ابن كثير دمشق، ٢٠١١م، ص٢٩٧.

(٢) **مدينة بورصة:** وتسمى بروسا مدينة بأسيا الصغرى شمال غرب البلاد تركيا حالياً، شهيرة بجودة هوائها ومناظرها الطبيعية وبقيت عاصمة للدولة العثمانية من عام ١٣٢٧ إلى عام ١٣٦١ ثم نقلت العاصمة إلى أدرنه ثم إلى استانبول عام ١٤٥٣ وتنتشر فيها أضرحة السلاطين العثمانيين الأوائل فضلاً عن المباني التاريخية للدولة، للمزيد ينظر: محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق احسان حقي، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٨١، ص١١٩.

(٣) بديعة الحسني الجزائري، ناصر الدين... ، ص١٧١.

وكان الاحتفاء به أكثر إذ وقف على رأس المستقبلين الوالي محمود نديم باشا مع عزَّت باشا رئيس العسكري وغيرهم من ذوي المناصب والعلماء فضلاً عن الجزائريين المهاجريين. وأول ما قام به عبد القادر الجزائري عند وصوله إلى دمشق زيارة ضريح الشيخ محيي الدين بن عربي الفيلسوف الصوفي[١]. وفضل السكن بالقرب من الضريح في الصالحية[٢] مع كلٍ من إخوته محمد السعيد[٣] وأحمد بن محيي الدين[٤]، وثم نزل واستقرَّ في منطقة العمارة قرب الجامع الأموي في زقاق

---

(١)ابن عربي هو محمد بن علي بن محمد ابن عربي أبو عبد الله الطائي الأندلسي، ولد في الأندلس عام ٥٥٨ للهجرة ، له من الشعر الحسن والكلام الطويل على طريق التصوف، وطاف البلدان وعاش في مكة مدة وفي دمشق مدة كبيرة له العديد من المؤلفات منها (الفتوحات المكية) و(فصوص الحكم) و(كتاب العبادلة) وقد توفي في دمشق عام ٦٣٨للهجرة. للمزيد ينظر: ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر، مجلد ١٧، ١٩٩٧، ص٢٥٢.

(٢)عبد الجليل التميمي، الأمير عبد القادر في دمشق، أعمال المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام، دمشق، ١٩٧٨، ص٤٢٤.

(٣) محمد السعيد وهو الاخ الاكبر للأمير عبد القادر الجزائري وهو من شيوخ الطريقة القادرية، من أبرز المجاهدين في الجزائر، عرضت عليه امارة الجهاد في الجزائر قبل اخيه الأمير عبد القادر لكن رفض، ومن مؤلفاته (شرح على رسالة في علم الوضع)، توفي عام ١٨٦١في دمشق. للمزيد ينظر : محمد مطيع الحافظ –نزار أباظة، علماء دمشق وأعيانها في القرن (١٣)الهجري، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩١، ص٥٩٥.

(٤) ولد في الجزائر عام ١٨٣٣ ، عالم صوفي قادري حفظ القران الكريم وهو دون سن البلوغ، ومن اثاره رسالة في قول الامام علي (العلم نقطة كثَّرها الجاهلون) ورسالة (الجنى المستطاب والزبرجد المذاب في الرد على من ادعى ان سماع المعازف يحرك القلب لرب الأرباب)، ولديه كتاب عن سيرة أخيه عبد القادر الجزائري وهي ترجمة مكثفة مختصرة عن سيرة الأمير عبد القادر الجزائري، مودعة في موسوعة (تعطير المشام في محاسن الشام) للشيخ جمال الدين القاسمي، الذي قد طلب من الأمير أحمد الأخ الاصغر للأمير عبد القادر الجزائري أن يحرر ترجمة أخيه الأمير عبد القادر الجزائري وجاء عنوان مخطوطة =

النقيب واتَّخذ لنفسه بيتاً واسعاً. وخلال إقامته في دمشق أصبح مقصد المهاجرين الجزائريين والعلماء والسياسيين والعامة الذين أخذوا يقصدون مجالسه؛ لأنَّه كان أديباً وشاعراً وعالماً في التَّاريخ ومتحدثاً متخصِّصاً في علوم الحديث، وكان فقيهاً على المذهب المالكي، مما جعل كبار علماء دمشق يُقبلون عليه ويلتفُّون حوله. علماً أنَّ اهتماماته في بداية استقراره بدمشق اتجهت إلى دراسة كتب محيي الدين بن عربي، وبيَّن الأمير عبد القادر أنَّ هناك بعض الكلام المنسوب إلى الأخير ليس من الممكن أن يكون كلامه لأنَّه عالمٌ من علماء الشَّريعة وملتزمٌ بضوابطها. وقد علم أنَّ هنالك نسخةٌ بخطِّ ابن عربي وهو كتاب (الفتوحات المكِّية) موجودة في مدينة قونية فأرسل كبار أصحابه إلى تلك المدينة وهم كل من: الشيخ محمد المبارك الجزائري والشيخ مصطفى الطنطاوي ليقارنوا النسخة التي بين يديه مع النسخة المحفوظة في قونية ويدققونها، فوجدوا اختلافاً كبيراً مما هو موجود في النسخ المتداولة ومنها نسخة الأمير عبد القادر، وصحَّحوا نسخة من الكتاب. مما يدلُّ على اهتمام الأمير بالبحث العلمي[1].

إن الأمير عبد القادر في بداية استقراره لم يكن حرَّاً في تحرُّكاته؛ فتعليمات السلطة الفرنسية لقنصلها في دمشق كانت واضحةٌ وفي أن يُتابع الأمير بشكل مستمر، أو يأخذ بالاعتبار على نحو منتظم جميع الوقائع التي يمكن أن تحدث حول الأمير والتي يمكن أن تبدو ذات طبيعة تهمُّ الحكومة الفرنسية التي أصدرت تعليماتها بتاريخ الرابع عشر من شهر كانون الأول عام ١٨٥٥ لقنصلها بعدم

=

(نخبة ما تُسَرُّ به النواظر وأبهج ما يُسَطَّرُ في الدفاتر). توفي ببيته في باب السريجة في دمشق عام ١٩٠٢م. للمزيد ينظر أحمد بن محيي الدين الجزائري، سيرة الأمير عبد القادر الجزائري الحسني، ط١، مؤسسة عبد القادر الجزائرية، الجزائر، ٢٠٢٠، ص١٥؛ عبد الرزاق البيطار، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٦.

(١) محمد شريف الصواف، حدثيني يا شام...، ص١٤٧-١٤٩.

إمكانية الأمير ترك دمشق دون إذنٍ من القنصل الفرنسي[١]. وتجلَّى ذلك عندما حاول القنصل منع الأمير من الذَّهاب إلى القدس وحتَّى إلى مكة، الأمر الذي أثار غضب الأمير بشدة، لكنَّه لم يستطيع أن يمنعه من السفر، مما أثار القلق الفرنسي حول الأمير لأنه في بداية استقراره في دمشق لم يزور قناصلها في بيروت أو دمشق والقدس، بينما قام بزياراتٍ متعددة لجميع سلطات الدَّولة العثمانية الرئيسة. كان في كل مكان يلقى فيه استقبالاً حاراً من السكان مما اثار قلق الدولة العثمانية، جاء بتقرير السفير الفرنسي في اسطنبول أنَّ عبد القادر كان لا يخفي بشكلٍ كافٍ عواطفه، ويتحدَّث بشكلٍ صريحٍ ضد الإدارة العثمانية، وأنَّ المغاربة ليسوا محبوبين في دمشق من قبل السلطات العثمانية، وأنَّ العرب يكرهون الأتراك. وكان السفير الفرنسي يرى أنَّ من الواجب حثُّ عبد القادر على الاستقرار في دمشق و تساعده فرنسا على شراء الأملاك فيها[٢]. مما يدلُّ على محاولة فرنسا كسب ودِّ الأمير إلى جانبها لتحقيق مكاسبها السياسية. وفي المقابل كانت الدولة العثمانية تعطي راتباً شهرياً لعبد القادر الجزائري قدر(٦٠٠) قرش[٣]، خوفاً من استمالة فرنسا للأمير. إلا أنَّ عبد القادر ما كان يودُّ الفرنسيين بل يعتبرهم محتلين. وتذكر السيدة (بديعة الحسني) حفيدة الأمير عبد القادر وتقول: كنت بعمر الثالثة عشرة مغرمة بالشعر العربي وقرأتُ ديوان جدنا الأمير عبد القادر فسألتُ والدي لماذا لا يوجد بيت شعري واحد فيه مدح لنابليون الثالث وهو الذي أفرج عنه بعد سنوات من حبسه فقال لي: أنَّ نابليون بهذا العمل أراد تحسين سمعة بلاده في العالم والجزائر وهو كالقاضي

---

(١)برونو اتيين، الأمير عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشيل خوري، ط١، دار عطية للنشر، بيروت، ١٩٩٧، ص٢٩٣.

(٢)المصدر نفسه، ص٢٩٤.

(3)B.O.A. ،I_DH ،30773/ 462 ، 1277H ،1860M.

العادل ليس إلا. وتضيف قائلةً: " ان جدي كان على ودٍ مع سلطان الدولة العثمانية ولديه قصيدة من تسعين بيتٍ يمدحُ بها الدولة وسلطانها[١] ويقول بها:

مازال في كل عصر منهم خلف يحمي الشريعة قوالا وفعال
حتى أتى دهرنا في خير منتخب من ال عثمان املاكا وأقبالا
يا رب أيد بروحك ملجأنا عبد المجيد ولا تبقيه حيرانا[٢]

وهذا دليل على ودِّ الأمير عبد القادر الجزائري للدولة العثمانية وللسلطان.

كان لاستقرار الأمير في دمشق أثرٌ واضحٌ على هجرة الجزائريين، إذ أنَّ هجرتهم نحو سوريا قد اتخذت صبغةً خاصة قبل استقرار الأمير عبد القادر فيها، لكنها منذ عام ١٨٥٦ اتخذت طابعاً يكاد أن ينحصر في شخص الأمير الذي جلب استقراره في تلك المدينة أنظار الجزائريين إليها وبالأخص المقربين إليه والذين شاركوه في حركته النضالية ضد المستعمر الفرنسي[٣].

ودفع استقراره في دمشق الكثير من العائلات الجزائرية إلى اتخاذ قرار الهجرة إلى بلاد الشام. ولوحظ عام ١٨٦٠ انتشار بعض الدعاوي للهجرة من بلاد القبائل والوسط، وكانوا قد هاجروا في السابق ورجعوا إلى الجزائر لبيع ممتلكاتهم التي خلفوها وراءهم وتسوية بعض أمورهم، اذ جاء في رسالةٍ موجهةٍ من الحاكم العام بالجزائر إلى الشرطة الفرنسية يطلب منهم متابعة للحاج عبد الله المشرفي القادم من سوريا لزيارة أمه في مدينة المعسكر، **ويقول فيها: "...ولكنني أخشى أن يكون وراء طول المدة التي طلبها مقصد آخر منها ن يكون مرسلاً من قبل عبد القادر الجزائري**

---

(١)مقابلة شخصية، أجراها الباحث مع بديعة الحسني الجزائري حفيدة الأمير عبد القادر الجزائري، أديبة وباحثة في شؤون التاريخ ، الجمهورية العربية السوريا، دمشق، بتاريخ ٨/شباط/٢٠٢٣، اذنت بالإشارة إليها.

(٢) العربي دحو، ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري، ط٢، مطبعة شالة، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ٩٢.

(٣) عمار هلال، ابحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر(١٨٣٠-١٩٦٢)، ط٢، ديوان مطبوعات الجامعة، الجزائر، ٢٠١٦، ص٨٥.

لدعوة الجزائريين للهجرة إلى سوريا لذلك أطلب منكم مراقبة هذا الشخص...". اذ أن العائدين من سوريا كانوا يخبرون الناس بما أصبحوا ينعمون به من اطمئنان في بلاد المسلمين، وقد بلغ عدد المهاجرين إلى بلاد الشام خلال خمسينات وستينات القرن التاسع عشر اعتماداً على تقارير القنصليات الفرنسية حوالي (٢٥٠٠) شخص في منطقة دمشق وحدها[١].

وبتوجيه من الأمير عبد القادر تآلف أتباعه الذي وصلوا إلى دمشق، وتجدر الإشارة إلى أنَّ السلطات الفرنسية وعقب قرار نفي الأمير من الجزائر سمحت لألف شخص من جنود الأمير عبد القادر بإرسالهم إلى دمشق، وكان هذا الفريق يعدُّ من أخلص الأفراد وأكثرهم طاعة له[٢].

وأحصى المستشرق الفرنسي ألفرد لوشاتليه (Alfred Le Chatelier) عددهم في دمشق عام ١٩٠٧ م حوالي (٨٥٠٠) شخصاً من بينهم (٣٥٤٢) شخصاً استقروا بالمدن السورية، بينما استقرت البقية في أريافها، فإذا أضفنا لتلك الأعداد المهاجرين من الذين استقروا منهم في قرى الجليل وطبرية سيكون لدينا أعداداً كثيرة من الجزائريين زحفت الى إلى الديار الإسلامية، وتعكس من جهة أخرى اليد الحديدية التي سلَّطتها فرنسا على الجزائريين منذ بداية الاحتلال، وحتى استكمال فرض السيطرة، وأسلوبها في إجهاض كل الثورات الشعبية، إضافة لقوانينها الموهمة بعملية دمج الجزائر بفرنسا كقانون إلحاق الجزائر بفرنسا عام١٨٣٤، وقانون السناتوس كونسيلت (Leseatus–Consulte) لعام ١٨٦٥، وهو القانون الذي وافقت الحكومة الفرنسية بمنح الأراضي مجاناً للمستوطنين، إلا أنها في حقيقتها وسَّعت من الفوارق القانونية والسياسية بين المستوطنين والأهالي بدرجة رعية من الدرجة الثانية بعيد كل البعد عن العناصر السكانية، فرسخ في نفوس هؤلاء المهاجرين استبداد وظلم المستعمر وغرس في نفوسهم الهروب من الحاكم الكافر[٣]. لهذا لوحظ زيادة في عدد

(١) نادية طرشون، الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي، ص٢٦.

(٢) عبد الجليل التميمي، المصدر السابق، ص٤٢٦.

(٣)نادية طرشون، الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي، ص٣٨

المهاجرين الجزائريين لاسيما في سوريا وبيروت بعد استقرار عبد القادر الجزائري، حيث كان الأخير بتلك الحقبة يعدُّ زعيم الجالية الجزائرية في بلاد الشام عامةً ودمشق لاسيما، وكان سخياً في مساعدته المادية للعلماء والمحتاجين من أبناء جلدته[١].

إذ أسهم بقدرٍ وافرٍ في حلِّ كثيرٍ من المشكلات المادية للمهاجرين الجزائريين من ماله الخاص، فقدَّم لكثير منهم الإعانات المالية، وبعض الهبات دون شرط أو مقابل، كما توسَّط لهم كثيراً للسلطات القنصلية الفرنسية في دمشق لحلِّ بعض مشكلاتهم، و هي المشاكل القانونية أو السياسية التي تعرَّض لها الجزائريون في دمشق[٢].

يتبيَّن لنا أنَّ استقرار الأمير عبد القادر الجزائري في دمشق كان له أثر واضح على زيادة الهجرة الجزائرية نحو سوريا، ولم يقتصر أثرها على الهجرة فقط بل كان له أثر علمي واجتماعي وسياسي في سوريا ولبنان.

ب:تداعيات وفاة الأمير عبد القادر على عائلته وعلى وضع المهاجرين (١٨٨٣-١٩١٤)

غداة وفاة الأمير عبد القادر عام١٨٨٣ سارع ممثلو كل من السلطتين الفرنسية والعثمانية لكسب ولاء عائلته، وقد بدأ الاهتمام الفعلي بتلك الأسرة، إذ بادرت فرنسا بإرسال رسالة التَّعازي موجهةً من رئيس الجمهورية الفرنسي إلى ابنه الأمير محمد باشا بن عبد القادر[٣] وكانت الرسالة تحمل الكثير من المودة الخفية والإعلان بصراحة

---

(١)بديعة الحسني الجزائري، ناصر الدين الأمير ... ، ص١٧٥.

(٢)عمار هلال، الهجرة نحو بلاد الشام(١٨٤٧-١٩١٨)، ص٣٨.

(٣) **الأمير محمد باشا:** هو أكبر أبناء الأمير عبد القادر بن محيي الدين الحسني الجزائري، مؤرخٌ ولد في القيطنة في عام ١٨٤٠، ورحل إلى دمشق مع الأسر الجزائرية التي هاجرت إلى سوريا بعد نفي والده إلى طولون كان يحمل رتبة رفيق في الجيش العثماني، و له العديد من المؤلفات تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ومآثر الأمير عبد القادر، عقد الأجياد في الصافنات الجياد نخبة عقد الأجياد ، ثلاثة رسائل الأولى، ذكرى ذوي الفضل في مطابقة أركان الإسلام للعقل، والثانية كشف النقاب عن أسرار الاحتجاب والثالثة الفاروق

=

عن رغبتها في التَّقرب من تلك العائلة والاهتمام بها فجاء فيها".. **فنحن مشتركون معكم في الكدر الذي ألمَّ بكم وفي حزن سائر العائلة وينبغي أن تثقوا بما نحن فيه من الميل إليكم والاهتمام بكم كما أننا نعتمد على إخلاصكم...**" (١).

=

والترياق في تعدد الزوجات والطلاق وقد انتخب عميداً للأسرة من قبل جميع افراد العائلة بعد وفاة والده عام ١٨٨٣. وكان محمد موالياً للسلطان عبد الحميد الثاني وسياسة الجامعة الإسلامية. وكان تربطه علاقة مع الشيخ محمد عبده، وأيضاً السيد جمال الدين الأفغاني، لأن الأمير محمد كان ينتقل أيضاً إلى استانبول حيث كان الأفغاني يقيم في سنواته الأخيرة. وقد انتهى الأمير محمد من تأليف (تحفة الزائر) وأهداه إلى السلطان عبد الحميد الثاني عام١٩٠٧ لأنه كان يقيم في استانبول وهو أول كتاب باللغة العربية إلا أنَّ هذا كتاب فيه إشكاليات بالمعلومات التاريخية والجغرافية ولعب بالألفاظ أحياناً لنجنبُّ خدش مشاعر العدو المحتل وغلوه في التصوف، لكن لا يقلل من قيمة هذا كتاب ، وتقول السيدة بديعة نقلنا عن أهلي أنَّ مسودة هذا كتاب حُرِقَتْ ولكن النار لم تأتِ عليه بالكامل حيث بعد اطلع أخوته على مضمون الكتاب وقع خلاف بينهم على بعض الفقرات وخاصة ما جاء في مقدمة الكتاب وقوله (والقينا السلاح الى الفرنسين) فاستغل أحدهم غياب محمد باشا فأرسل أحد الخدم لغرفة الأخير وحينما حصلوا على المسودة أحرقوها قبل وصولها إلى المطبعة فأعاد كتابتها من جديد، سبب ذلك الخلاف أن بقية أفراد العائلة تعلل السبب الذي دفع الامير عبد القادر الى عقد اتفاق هو تسهيل هجرته من الجزائر إلى عكا الان الموانئ بيدي المحتلين وليس استسلام ووصل الأمير محمد إلى رتبة جنرال في الجيش العثماني، كما حصل على لقب الباشا، توفي عام ١٩١٣، للمزيد ينظر : بديعة الحسني الجزائري، دراسة لكتاب تحفة الزائر لمحمد باشا ،ط١، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٩،ص٦٥؛ بديعة الحسني الجزائر، اصحاب الميمنة ان شاء الله ،ط١،دار سلام للترجمة والنشر، دمشق ١٩٩٧، ،ص٢٢٨؛ عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر من مصدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان ،١٩٨٠، ص١١٠؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج١ ،ط١،دار الغرب الاسلامية ،بيروت ،١٩٩٨،ص٥٥١.

(١) بديعة الحسني الجزائري، أصحاب الميمنة إن شاء الله، ص٢٥٩.

أما الدَّولة العثمانية فقد شهدت مع نهاية القرن التاسع عشر مؤامرات ونزاعات داخلية أنهكت كاهلها وعرفت بالرجل المريض[١]، اذ اقتصرت سيطرتها في أيامها الأخيرة على سوريا وفلسطين والعراق. كما أنها كانت تعاني من المؤامرات اليهودية والضعف الذي كان من جوانب عديدة، وأصبحت بذلك محط أنظار وأطماع الدول الأوروبية الاستعمارية التي كانت تخطط منذ زمن بعيد للقضاء على الدولة العثمانية[٢]. لهذا سعت إلى كسب ولاء الكثير من العوائل في البلدان العربية ومنها عائلة الأمير عبد القادر الجزائري في دمشق وتأييدها، بل الانحياز التَّام إليها لخدمة مصالحها في المنطقة عامة وللتأثير على المهاجرين الجزائريين في المشرق العربي لاسيما. فبالنسبة للباب العالي عَدّ تلك القضية هامةً جداً، وأعطى بشأنها التعليمات

(١) وصف القيصر نيقولا الأول الدولة العثمانية بـ (الرجل المريض) وقال أن على روسيا وبريطانيا أن تفكرا بكيفية توزيع إرثه، وسعى في عام ١٨٥٣م إلى ان يستوضح موقف الحكومة البريطانية من امكانية اتفاقها معه حول مصير الامبراطورية العثمانية. وهكذا انتهز فرصة وجوده في احدى الحفلات التي حضرها السلك الدبلوماسي في بطرسبورغ في كانون الثاني ١٨٥٣ فاقترب من السفير البريطاني هاملتون سيمور وأجرى معه حديثاً حول الموضوع وأكَّد القيصر للسفير في ذلك اللقاءات بأنه لا يطمع بأراضي جديدة لأن روسيا واسعة لدرجة كافية وانه لا شيء افضل للمصالح الروسية من وجود الدولة العثمانية إلى جوارها ولكنه استدرك قائلا بأن رجل مريض وانا مثلكم راغب في استمرار حياته أنه يمكن أن يموت فجأة بين ايدينا، اننا لا نستطيع ان نحيي الموتى. اذا سقطت الامبراطورية التركية فأنها ستسقط لكي لا تقوم بعد ذلك أبداً. للمزيد ينظر أسراء حسن هادي، سياسة روسيا الخارجية في عهد القيصر نيقولا الأول (١٨٢٥-١٨٥٥)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الانسانية، ٢٠٢١، ص٩٥، هاشم التكريتي، دبلوماسية حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦)، مجلة المؤرخ العراقية، العدد٣٦، ١٩٨٨، ص١٠٣.

(٢) علي صلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط١، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بور سعيد، ٢٠٠١م، ص٥٣٠.

اللازمة إلى الوالي العثماني حمدي باشا[١] في دمشق عام ١٨٨٤في رسالة قال فيها **(...يجب عليكم أن تعملوا بسرعة، وتبذلوا كل ما هو في وسعكم لفصل عائلة الأمير عن فرنسا نهائياً. مدّوها بالرتب العسكرية السامية وبالعطاء الجزيل. فإذا ما توصلتم إلى ذلك تكون النتيجة هامة جدا، إذ بواسطة عائلة الأمير نتمكن بدون شك من جلب كل الجزائريين في سوريا إلى صفوفنا وتلك هي الوسيلة الوحيدة التي نستطيع بواسطتها تجريد فرنسا من ادّعاءاتها التي : تتذرع بها للتدخل في المنطقة...)** [٢]. ورغم ما بذله حمدي باشا من مجهودات لكسب ولاء عائلة الأمير بأكملها إلا أنه لم يتمكَّن سوى من كسب ولاء بعض الأفراد منها، وهم: الأمير محمد ومحيي الدين [٣] وعبد الله. علماً أنَّ الدولة العثمانية قد صرفت راتباً لمحيي الدين بن

---

(١) **أحمد حمدي باشا** : هو ابن يحيى بك ابن الوزير ملك أحمد باشا، كان والده من الممتازين بين رجال السلطان محمود العثماني، وأما جده فكان الوزير الأعظم عند السلطان الأعظم محمد المشهور بلقب أوجي. ولد في القسطنطينية في عام ١٨٢٦م ، وقرأ على بعض المشايخ ما يلزمه من العلوم الدينية والدنيوية كالصرف والنحو والمنطق والمعاني والبيان والعلوم الرياضية ولمع من الحكمة الطبيعية، وتقلَّد مناصب عديدة في الدولة العثمانية ومنها الصدر الاعظم، حتى أصبح والي ولاية سوريا ١٨٨٠م، وله الكثير من الاصلاحات في سوريا، ولعل أبرزها إنشاء الكثير من المكاتب الابتدائية للذكور والإناث في دمشق وبيروت وطرابلس واللاذقية وحماه وحوران وسائر أنحاء سوريا وفلسطين، وإيجاد أموال مستقلة تضارع نفقاتها، وتشييد المدرسة الداخلية في بيروت على نسق المدارس العالية المنتظمة في السلطنة توفي عام ١٨٨٥م . للمزيد ينظر: عبد الرزاق البيطار ،المصدر السابق ،ج١،ص١٣٤.

(٢)عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام ...ص٤٠

(٣) الأمير محيي الدين باشا ابن الأمير عبد القادر الحسني الجزائري، زعيم سياسي جزائري ولد بالجزائر عام ١٨٤٣ م، حفظ القرآن وهو ابن ثماني السنين أقبل على حفظ المتون في شتى أنواع العلوم الإسلامية، تتلمذ على جملة من أخيار العلماء، واشتهر بثقافته الواسعة، حظي بالتقدير في أوساط الدولة العثمانية بالشام تبعا لمركز أبيه، أسند إليه وظيفة القضائية في أزمير عام١٨٦٥ بالدولة العثمانية، وكذلك شارك في انتفاضة١٨٧١التي عمت جميع مدن الجزائر، ولقد شارك في المعارك تلك الانتفاضة ومنها معركة الشريعة ومعركة وادي

=

الأمير عبد القادر وعائلته بعد تخليه عن الجنسية الفرنسية وإسكنت المهاجرين الجزائريين في الأراضي الفارغة في حوران شريطة قيامهم بممارسة الزراعة وإعفائهم من الخدمة العسكرية[١]. وكذلك تمَّ تخصيص قطعة أرض زراعية لشفيقة خانم زوجة

=

الحميمية يعلق المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله على مشاركة محي الدين في احداث ١٨٧١ : أنه قد جرت ضغوط على الأمير عبد القادر ليعلن رأيه من احداث ١٨٧١ ولعله قد أعطى موافقة ضمنية لابنه بعد سقوط نابليون الثالث وتغيير النظام في فرنسا بل وهزيمتها فذلك يحرره من الالتزام الذي قيل أنه وعد به نابليون رغم أنه شخصيا لم يدخل الجزائر لكن دخلها محي الدين ويبدوا أنه جاء بنية البقاء فترة طويلة بل بدون تفكير في العودة إلى الشام ويفتح الطريق لوالده الذي قارب ستين عام ويقول البعض أن الأمير قد غضب على ابنه لأنه كان يرى انه ما قام به مجازفة وتهلكة للشعب الجزائري، ولم يرجع محيي الدين إلى سوريا الا بعد قتل احمد المقراني عام ١٨٧١، . وكان ممثلاً عن المهاجرين الجزائريون خلال مفاوضات ما بين الدولة العثمانية وفرنسا حول الجنسية المهاجرين الجزائريون. وتشير الوثائق العثمانية ان الولي حمدي باشا كلفه بادراه شؤون المهاجرين الجزائريين لكن بعد وفاة حمدي باشا قد اعترض فرنسا على عمله وقد قدم السفير الفرنسي مذكرة احتجاج على عمل محيي الدين بحجة حدوث الخلل في انتظام إدارة الجزائريين في سوريا لان كان يدعوا المهاجرين الجزائريين تخلي عن الجنسية الفرنسي بالمقابل، وقبول بالجنسية واعفاهم من الخدمة العسكرية في الجيش العثماني.حصل على أوسمة عديدة منها ما أنعمه عليه السلطان عبد العزيز من رتبة أزمير مع النيشان العثماني من الرتبة الثالثة، وأنعم عليه السلطان عبد الحميد الثاني برتبه (مير ميران) الرفيعة أي أمير الأمراء، وتوفي عام ١٩١٧م.للمزيد ينظر : يحي بوعزيز، وثائق جديدة عن محي الدين بن الأمير عبد القادر في ثورة ١٨٧١ وعن موقف أبيه والسلطات التونسية، مجلة الاصالة، العدد ٣٨، مجلد ١٥، منشورات وزارة الشؤن الدينية والاوقاف، ، ٢٠١١، ص٢٥؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج٤، ص٥٦٠؛ بديعة الحسني الجزائر، اصحاب الميمنة ان شاء الله، ص٢٧٨-٢٧٩؛

B.O.A ،I.DH ،1091. 85585.1/1 ،1887M.

(1)B.O.A ،Y-EE٢٣/١ ، 1 ، 1305H ،١٨88M.

الأمير عبد القادر الجزائري والمقيمة في سورية[١]. وتم تكريم محمد باشا الابن الأكبر لعبد القادر الجزائري بنوط المجيدي بناء على طلب ولاية سورية[٢].

ورغم ذلك إلا أنَّ هناك بعض الصعوبات التي واجهت افراد الاسرة ،اذ اشارة محمد باشا الجزائري في رسالة بعثها الى الباب العالي عام ١٨٨٦م ، أوضح فيها أنه يجد صعوبة في الحصول على الراتب المخصص لأسرته، فأرسل الباب العالي مذكرة بضرورة اتخاذ اللازم في هذا الشأن، جاء فيها: "وبالنظر إلى مذكرتكم السابقة الواردة بتاريخ ١٨٨٦م نفيدكم علماً بضرورة منح أسرة المشار إليه راتبها في وقتها دون تأخير ودون مراجعة الجهات الرسمية أو غير الرسمية في هذا الشأن وإظهار التسهيلات اللازمة لهم في الحصول على الراتب بتخصيص مبلغ قدره خمس وعشرون ألف قرش ، خُصص ١٩ ألف قرش لمحمد باشا، أما بخصوص مسألة توزيع هذا الراتب على الأسرة فإن هذا الأمر متروك لمحمد باشا، أما بخصوص الطلب الخاص بأن يكون محمد باشا المذكور هو المرجع الخاص بالجزائريين الموجودين في سوريا، نفيدكم بأن هذا الأمر لم يجد القبول لما فيه من محاذير عديدة بالنسبة للولاية، ولأهمية الأمر نرجو منكم إيضاح الأمر بصورة لطيفة له واتخاذ اللازم[٣]". والمعروف أن الذين ارتبطوا بالدولة العثمانية هم محمد ومحيي الدين علي بن عبد القادر [٤]، وقد عرف عن أحمد وعبد الرزاق أنهم بقوا على علاقتهم بفرنسا. أما

---

(1)B.O.A ،I-DH ،86399 ،1305H ،1888M.

(2)B.O.A ،i-DH ،86143 ،1305H ،1888M.

(3)B.O.A ،A-MKT-UM ،1753-24- 1 /1 ،1304H ،188٧M

(٤) ولد في دمشق عام ١٨٦٠م، ونشأ الأمير علي وترعرع في بيئة ذات علم ودين، حيث استطاع أن يلم بالقرآن ومعانيه ف ، ومع حداثة وصغر سنه كان شغوفاً بالعلم وأنه نشأ على الفروسية والدين، فكان باراً بأبيه، ويقلده في أعماله ، وقد تزوج من شقيقة عزت باشا احد اعيان دمشق، والكاتب لسلطان عبد الحميد، واعتنق الأمير مبدأ الدفاع عن الجامعة الإسلامية وكانت الغاية منه ربط الشعوب المسلمة ببعضها، ، توفى في اسطنبول عام ١٩١٨اثر مرض، للمزيد بنظر: محمد السعد، تاريخ حياة طيب الذكر الأمير علي بن الأمير عبد القادر، =

هاشم فقد سمحت له السلطات الفرنسية في الجزائر بالرجوع والإقامة في بوسعادة مع أبنائه [١].

واشارت الوثائق العثمانية، وبعد التَّسوية مع فرنسا بخصوص الجزائريين أنه تم إخراج الأمير هاشم وأعوانه من أنحاء سوريا[٢]. أما عبد الملك[٣] فقد انضمَّ أولاً إلى الفرنسيين، ثم حاربهم ونُقل إلى المغرب العربي مدَّة من الزمن، وثمَّ انتقلت عائلته إلى دمشق في ثلاثينيات القرن العشرين[٤].

=

ط١، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩١٨، ص٩-١٤-١٦٥، ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج٥، ص٥٥٣ .

(١) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ح١، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٢، ص ٥٥١.

(2)(B.O.A)،Y-A-HUS ،211-72-1/1 ،1305H ،1888M

(٣) ولد عبد الملك الجزائري في دمشق عام ١٨٦٨ أكمل دارسته في المدرسة الملكية بإسطنبول ثم المدرسة العسكرية انتقل إلى الجزائر بعد وفاة ابيه، وشارك في انتفاضة بو عمامة في الجزائر عام ١٩٠٤، وانتقل إلى المغرب العربي وعين قائداً للشرطة الدولية في طنجة عام ١٩٠٦، وخلال الحرب العالمية الأولى بمساعدة من المانيا قادة حركة المقاومة ضد فرنسا في الجزائر، وبعد انتهاء الحرب عاده إلى المغرب بحماية اسبانيا ، وقد وقع خلاف بينه وبين وعبد الكريم الخطابي و بسبب ذلك الخلاف بدفع كل من اسبانيا وفرنسا لان الأخيرة كانت تدعم الخطابي ومن شروط الدعم له القضاء على عبد الملك الجزائري، وفي احد المعركة سقط قتيل في عام ١٩٢٤، لمزيد بنظر بديعة الحسني الجزائري، اصحاب الميمنة ان شاء الله، ص ٤٠٦؛ ابو القاسم سعد الله، ابحاث و اراء في تاريخ الجزائر، ج٤، ص ٤١١، محمد السعيد، عبد الملك الجزائر وثورته بالمغرب الاقصى (١٩١٤_١٩٣٤)، مجلة عصور، العدد ٢٢، الجزائر، لعام ٢٠١٤، ص ٣٠٧

(٤) مقابلة شخصية، أجراها الباحث مع السيدة بديعة الحسني الجزائري حفيدة الأمير عبد القادر الجزائري، أديبة و باحثة في شؤن التاريخ ، الجمهورية العربية السوريا، دمشق، بتاريخ ٨/شباط/٢٠٢٣، أذنت بالإشارة إليها.

اذ انّ ذلك الانقسام السياسي الذي حدث في عائلة الأمير بعد وفاته بين فئةٍ من أبناءه من مؤيدين للعثمانيين وآخرين مؤيدين للفرنسيين كان السبب الرئيسي الذي جعلها تفقد تلك السُمعة الطَّيبة التي كانت تتمتَّع بها بين الأوساط المهاجرة من الجزائريين في سوريا وفي غيرها من الولايات العثمانية، كما جعل تأثيرها يتقلَّص عليهم بصفة ملحوظة. ذلك لأنه وبمجرد دخول أبناء الأمير في المعسكر الفرنسي أو المحور العثماني يحول دون تدخلهم تدخلاً نافعاً، ويكف أيديهم عن الدفاع عن مصالح المهاجرين الجزائريين في الولايات العثمانية(١).

وتجدر الاشارة أن محيي الدين الجزائري اعتذر عن تصرفات أخيه هاشم بعد أن هاجم الأخير الدولة العثمانية "...**لقد طالعت في الصحف بعض الأفعال غير المرضية الصادرة عن أخي هاشم المقيم في الشام، فأنا مستعد لعرض بعض التوضيحات بخصوص عائلتنا والجزائريين المهاجرين في سوريا..**"(٢).

لم يكن ذلك الخلاف من مصلحة العائلة ولا المهاجرين الجزائريين، ولاسيما إذا عرفنا أن المهاجرين قد كانوا في حاجة لمن يحميهم ويتدخل في مصالحهم، أكثر مما هم في حاجة إلى الحماية من الافتراءات الفرنسية، لأنهم واجهوها في بلادهم ووضعوا لها حداً بهجرتهم. لذلك لم يستطيع أبناء الأمير الوقوف ضدَّ العثمانيين للدفاع عن إخوانهم المهاجرين وهم منساقون وراء أهوائهم، كما لم يستطيع اللذان فضَّلا الانفصال عنها التَّدخل لصالح المهاجرين الجزائريين لسبب بسيط هو أن السلطات العثمانية تعدهما كمنافسين لها يسعيان لتجسيد المطامح السياسية الفرنسية باتخاذ المهاجرين الجزائريين كوسيلة لذلك. ومن هنا تقلَّص دور أبناء الأمير بعد وفاته تدريجياً وكاد أن يضمحلَّ بعده بمدةٍ قصيرةٍ، وفسحوا المجال واسعاً أمام العثمانيين لبسط سلطانهم على المهاجرين الجزائريين في ولاياتها(٣).أسسوا جريدة لاسيما بهم عرفت باسم (المهاجر)،

---

(١)عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (١٨٤٧-١٩١٨)، ص٤٣

(2)B.O.A ،Y_ A_ HUS ،211 _ 72 _ 4/ 1 ،1305H ، 1887 M.

(٣)عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (١٨٤٧-١٩١٨)، ص٤٣

التي كانت تصدر بدمشق مرة كل أسبوع، منددة بالسياسة الاستعمارية التي انتجهتها فرنسا في الجزائر، ومدافعة عن حقوق المهاجرين المغاربة في المشرق العربي. وقد أشرف على شؤونها المالية الأمير علي بن الأمير عبد القادر الجزائري، كما أن ابنه محمد السعيد [١] كان يمضي باسمه بعض المقالات.أن الأمير علي هو الذي أسس تلك الجريدة بماله الخاص . وفي بداية صدورها نجد محمد شطة على رأس تحريرها وهو أحد المثقفين الجزائريين ([٢]).

تبيَّن لنا أن استقرار الأمير عبد القادر الجزائري في دمشق كان من أهم الأسباب التي دفعت الجزائريين إلى الهجرة نحو بلاد الشام عامةً ودمشق بشكل خاص لاعتباره أهم رموز المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، وكان بمثابة الزعيم للمهاجرين لما يمتلكه من شعبية ، أمَّا بعد وفاته ورغم الانقسام الذي حدث بين أبنائه فقد استمرَّت عائلة الأمير عبد القادر بالدفاع عن حقوق المهاجرين، ويعدُّ محيي الدين

---

(١) **الأمير سعيد الجزائري:** وهو ابن الأمير علي باشا نجل الأمير عبد القادر الجزائري، ولد في دمشق عام ١٨٨٢م، وتلقي العلوم الدينية في المدرسة الريحانية، ودخل مدرسة عنبر الثانوية ثم المدرسة العليا في استنبول، ترأس جمعية العهد ولجنة الدفاع عن الحجازي، وترأس لجنة المقاطعة ثم أسس جمعية مهاجري أفريقيا الشمالية، ثمّ جمعية الدفاع عن أفريقيا الشمالية، وأسس جمعيات الخلافة بسوريا ولبنان، أصدر مجلة الوحدة الإسلامية)، وصدر له كتاب (وشائح الكتاب وزينة الجيش المحمدي الغالب، وصدر له كتاب يتضمن رحلة للحجاز في سبيل تأسيس جمعية مهاجري أفريقيا الشمالية، وقد صرّح أنه لا يأبه بالأوسمة، ومع ذلك نال نيشان الافتخار التونسي ووسام الأكاديمية الجغرافي وأرفع الأوسمة الماسونية وميدالية الحجاز الذهبية، وقد تقلد رئاسة الإدارة بسوريا عام ١٩١٨ وحافظ في أثنائها على الأموال والأرواح، ويمكن عده أوّل رئيس للإدارة العربية بدمشق ولكن مدَّة رئاسته لم تدم أكثر من ثلاثة أيام، ورشح لعرش سوريا عام ١٩٢٠، توفي١٩٧٠في الجزائر. للمزيد ينظر: مديرية الوثائق التاريخية بدمشق، القسم الخاص، أعلام، الأمير سعيد الجزائري، حافظة ٨٤، وثيقة ٢٣، ٢٤؛ مارسل بروفنس، صاحب السمو الأمير سعيد الجزائري، ترجمة جورج بشعلاني، ط١، المطبعة العلمية، بيروت، ١٩٣٠، ص١٤.

(٢) عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (١٨٤٧-١٩١٨)، ،ص١٦.

الجزائري أبرز أفراد الأسرة، وقد كان ممثلاً عن المهاجرين الجزائريين أثناء تفاوضهم بين الدولة العثمانية وفرنسا، وإن كان ولائه للسلطات العثمانية إلا أنَّ ذلك لم يُفقد الأسرة دورها في أوساط المهاجرين بل أصبح لها دورٌ في الحياة السياسية في سوريا وهذا ما سوف نبّينه في الفصول القادمة.

ثانياً: الخلاف العثماني الفرنسي على جنسية المهاجرين الجزائريين في سوريا ولبنان (١٨٥٥-١٩١٤)

أ. أسباب الهجرة الجزائرية إلى سوريا ولبنان (١٨٥٥-١٩١٤)

إن استقرار العوائل الجزائرية في سوريا ولبنان دفع بكثير من العائلات الجزائرية إلى اتخاذ قرار اللحاق بهم، و عليه تكاثر المهاجرين الجزائريين في سوريا وقوي نفوذهم وأصبح لهم تأثيرٌ هام في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في سوريا لاسيما، أقلق ذلك كثيراً الحكومة الفرنسية وجعل أيضاً الحكومة العثمانية تتساءل عن مصير الهجرة الجزائرية[١].اذ كتب السفير الفرنسي لدى اسطنبول السيد (متيبال) إلى وزير الشؤون الخارجية الفرنسي يقترح عليه أن يطبق على الجزائريين تلك الإجراءات التي طبقتها روسيا على الذين غادروا البلاد دون إذن منها، واستقروا بصفة مؤقتة أو نهائية في الولايات العثمانية، ومن بين ما اقترحه هذا الأخير هو إلغاء منح جوازات السفر للأهالي الجزائريين، وإبلاغهم بأن الذين يتجاوزون القانون الفرنسي ويهاجرون إلى سوريا أو غيرها من الولايات العثمانية لا يكون لهم الحق بأي حال من الأحوال في التَّمتع بالحماية الدبلوماسية الفرنسية في الأراضي العثمانية، وبالتالي يُجردون من جنسيتهم الفرنسية، ويعتبرون متخلين عن أملاكهم وأراضيهم في الجزائر، التي يطبق

(١)عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية ....، ص٧٩.

عليها قانون مصادرة أملاك وأراضي الثائرين ضدَّ السُّلطات الفرنسية الصادر في عام١٨٥٤. لكن اقتراحات (متيبال) لم تجد صدىً واسعاً في الأوساط السياسية الفرنسية، ورأى فيها الحاكم العام الفرنسي للجزائر كامبون جوليوس (Jules Cambon) اختراقاً للتَّشريعات الفرنسية لكن ذلك لم يمنعه من اتخاذ مواقف حازمة من الهجرة الجزائرية إلى الأراضي العثمانية، ومنها إلغاء منح جوازات السفر للأهالي الجزائريين، وإخضاع الذين هاجروا منهم إلى تونس لرقابةٍ صارمةٍ باعتبارها مستعمرةً فرنسيةً، وإجبار المقيمين بها بدون ترخيص من الإدارة الفرنسية في الجزائر على العودة إلى مناطقهم الأصلية، حتى وإن استلزم ذلك استعمال القوة ضدهم. وبالفعل ذلك ما حدث، إذ منذ عام ١٨٨٩ تعرَّض بعض الجزائريين المقيمين في تونس لطردٍ ومهانة الفرنسيين لهم مكبلين بالأغلال تحت رقابة الشرطة الفرنسية التي كانت تعمل في تونس، والتي كانت تأتي بهم إلى الحدود التونسية لتسلمهم إلى الشرطة الفرنسية التي تعمل في الجزائر[١]. ولكثرة طلبات الهجرة عملت سلطة الاحتلال الفرنسي تحقيقاً لمعرفة الظروف فكان تقرير لوسياني الذي يعتبر خبيراً في قضايا الجزائريين والإسلام، ويعتبر تقريره من أهم التقارير التي وضعت للتحقيق في أسباب الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي. ويذكر في تقرير لوسياني أنَّ أول سببٍ دفع الأهالي للهجرة هو الوعود الماكرة التي تضمنتها الرسائل المرسلة من المهاجرين في بلاد الشام إلى أهلهم وأقاربهم، إضافة إلى حملات الدِّعاية والتَّحريض من الصحافة العثمانية[٢]. ورغم وجود دوافع وأسباب شتَّى حملت الأهالي المسلمين على الهجرة، لكن في نهاية المطاف يبقى الدِّين هو السبب الرئيسي، وهذا يسجله لوسياني حرفياً: **"...وفي رأيي يجب رفض كل الأسباب التي تتعلق بسخط وتذمر الأهالي أو أن السبب يتعلق بالظروف الاقتصادية الصعبة التي يجتازونها أن مثل تلك الاعتبارات والأسباب لا تضيف شيئاً جديداً عن ظاهرة الرَّحيل الجماعي عمَّا سبق لي أن**

(١)عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو الشام...، ص٧٣.

(٢)نادية طرشون، الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام بين عامي (١٨٩٨_١٨٩٩)، مجلة عصور، العدد الأول، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠٠٢، ص٣٠.

أوضحته في مقدمة هذا التقرير..." أي الدافع الديني والسياسي هو سبب الهجرة، فالعرب الذين استمعت إليهم وهم يتكلمون فيما بينهم، يطلقون على تلك الحركة اسم الهجرة، كما هي ماثلة في مخيلتهم التاريخية هجرة النبي محمد (صلى الله وعليه وسلَّم) من مكة إلى المدينة. كما أن الأشخاص الذين قاموا بتلك الرحلة يعرفون بالمهاجرين إشارة إلى الهجرة النبوية.

ولقد أوصى تقرير (لوسياني) الحاكم العام بالإبقاء على قرار رفض جوازات السفر نحو سوريا لطالبي الهجرة، لأن المراهنة على فشلهم والعودة إلى الجزائر غير مؤكد؛ لأن الدَّولة العثمانية تستقبلهم وتتكفل بإقامتهم، كما أن أعداد المهاجرين سيقوّي تلك الأخيرة بالإضافة إلى أن وجود بعض العناصر الجزائرية في سوريا سيشكل خطورة أكثر على فرنسا وهم في الشام من بقائهم في الجزائر. وكذلك لاحظ صاحب التقرير عدم وجود منشورات باللغة العربية تحمل خطاب الإدارة الفرنسية في الجزائر وتردّ على الإثارة التي تحملها الصحف الأجنبية، وتكذِّب ما تحمله من معلومات. ويضيف بأن السكان المحليين في الجزائر بحاجة إلى غذاء فكري فهم متعطشون للأخبار السياسية، وكثرة الاهتمام بما يجري في الدول الإسلامية الأخرى، ولذلك فهم يبحثون عن ذلك الغذاء الفكري في الصحف المطبوعة في مصر وسوريا، كما أكَّد بأن جريدة "المبشر"[1] الاستعمارية التي تصدر باللغتين العربية والفرنسية لا تفي بالغرض، لأن طابعها الرسمي يجعلها غير قابلة للاستعمال فيما يتعلَّق بالنقاشات السياسية وأهداف الحكومات الأجنبية، لأنها لا تنشر سوى القرارات وآراء الإدارة التي تريد ايصالها

(١)جريدة المبشر أصدرتها الحكومة الفرنسية عام ١٨٤٦ في الجزائر وجعلتها اللسان الرسمي لها واستمرت حتى عام ١٩٢٧،وكانت تطبع باللغتين العربية والفرنسية، واشرف على تحريرها مدير المصالح الشؤون الاسلامية في الجزائر ،وكان محررها اول مرة الشيخ احمد البدري حتى عام ١٨٨٦وقد كان محمود كحول من ابرزهم استمر محرر لها حتى عام ١٩٠٧، وكانت تنشر البلاغات ونصوص القوانين والنصوص القضائية، ولم تقتصر على هذا بل تتناول مواضيع اخر سياسية ،كانت تحذيرية وتبرر السياسة الاستعمارية بالجزائر ،وتعد ام الجرائد المكتوبة في الجزائر ،للمزيد ينظر :مفيدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر،ط١،منشورات مؤسسة مفيد زكرياء، الجزائر،٢٠٠٣،ص٣٤.

للسكان المحليين فحسب، ولذلك نصح بإنشاء جريدة عربية، والرفع من سلطة القضاء الإسلامي. وأكَّد على حظر الصحافة الاهلية([1]) لأنه تحمل العداء الواضح والعلني للحكومات الأوربية، وأوصى بإجراءات تتعلَّق بإدارة السكان وأنَّ تلك الحلول التي طالب بها تقريره ما هي إلا اعترفٌ صريحٌ بعدم كفاءة الإدارة الاستعمارية[٢].وقد توقفت الموجات الجزائرية المهاجرة إلى المشرق العربي مع اندلاع الحرب العالمية الأولى ،لكن يجب أن نبين منذ وصول الجيش الفرنسي إلى دمشق واحتلالها عام ١٩٢٠ كان في صفوفه أعداد من المجندين الجزائريين شهد ذلك الجيش حالة واسعة من فرار أولئك الجزائريين والتحاقهم بالعائلات والقرى الجزائرية ، وقد شارك هؤلاء في الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥-١٩٢٧ رافضين قتال إخوانهم العرب والمسلمين[٣] . وأما تقرير السيد باربيدات، المندوب المالي لمنطقة جيجل فيؤكد بدوره على أن الهجرة التلمسانية تمَّت لأغراضٍ دينيةٍ وبقية الأسباب الأخرى مجرَّد عوامل عارضة. فرغم وجاهة الأسباب الطارئة، كما يسميها مثل الجفاف والفقر ونقص المحاصيل وغلاء المعيشة إلا أن في نهاية المطاف يبقى السبب الوجيه هو الشعور الدِّيني المشترك بين جميع سكان العالم الإسلامي، فكل أجزائه تتلاحم وتنجذب نحو مركز الخلافة

---

(١) الصحافة الأهلية هي تلك الصحافة التي يقوم عليها الجزائريون من ناحية التسيير الإداري والمالي ومن ناحية التحرير والتوزيع ويكون مضمونها يتعلق بالقضايا الإسلامية الجزائرية وبشؤونهم العامة و علاقتهم بالوجود الاستعماري بالجزائر مع الاعتراف المطلق بذلك الوجود ،ومن ابرز تلك الصحف جريدة الحق التي أصدرت عام ١٨٩٣،للمزيد ينظر : الزبير سيف الاسلام ، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج٣، ط١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،١٩٨٢،ص١٢؛ عمار بن محمد بوزير، الصحافة الجزائرية خلال عهد الاستدمار الفرنسي، ط١،شكبة الألوان ،الجزائر، ٢٠١٦،ص١٤.

(٢) بلعزوز العربي، هجرة سكان منطقة الشلف إلى الشام سنتي (١٨٩٩- ١٨٩٨) من خلال تقرير (لوسياني)، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد١٢، العدد ١، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف الجزائر، لعام٢٠١٩، ص، ١٢.

(٣)سهيل الخالدي، المصدر السابق،ص٦٧.

الإسلامية. ويقول صاحب التقرير: "إن الواجب القرآني، يمنح قوة هائلة للجان الإسلامية القائمة في القسطنطينية، التي تحصل على دعم مادي ومعنوي من الحكومة العثمانية، بقصد تيسير سبل الهجرة"[١].

ب. الخلاف الفرنسي العثماني حول جنسية المهاجرين(١٨٥٥-١٩١٤) :

أن الخلاف العثماني الفرنسي حول جنسية المهاجرين الجزائريين إلى سوريا ولبنان تعد من أهم المشكلات التي واجهوها ووجهاً آخر من وجوه الخلاف الفرنسي العثماني، وموضع نزاع متواصل بين السُلطات القنصلية الفرنسية التي تعمل بإمرة الحكومة في باريس وبين السُلطات العثمانية وتحت سيطرتها ولاية دمشق وبيروت، الأمر الذي استدعى تدخُّل السُلطة العثمانية في ذات الوقت الذي تحرَّكت فيه القنصلية الفرنسية، ورأت في المسألة تدخلاً للباب العالي في أمر لا يعنيه، بينما الطرف العثماني كان يرى في تصرُّفات وتحرُّكات القنصلية الفرنسية في بيروت ودمشق سياسةً فرنسيةً لاستعادة شرفٍ دبلوماسيٍ وعسكريٍ فقدته ولاسيما بعد عام ١٨٧٠م في أعقاب الهزيمة التي منيت بها فرنسا أمام ألمانيا[٢]. اذ تعرَّضت لنكسةٍ

---

(١) كمال قيلالي، سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر، ط١، منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية، قسنطينة، ٢٠٠٩، ص١٠٢.

(٢)وهي حرب السبعين (١٨٧٠- ١٨٧١) بين فرنسا وبروسيا قد أنهت حكومة نابليون الثالث ، وكانت بدايتها تتمثل بالخلاف حول الترشيح للعرش الاسباني بين فرنسا وبروسيا ، فكانت الأولى تأمل بترشيح أحد أفراد الأسرة الحاكمة في فرنسا ، في حين كانت بروسيا تعمل لترشيح شخص يؤيد سياستها في تحقيق الوحدة بين الولايات الألمانية ،وقع نابليون الثالث تحت تأثير زوجته الاسبانية ، وتأثير عامة الشعب الفرنسي التي دعت إلى الحرب مع بروسيا. ومن اجل تحقيق ذلك الهدف خاضت الحرب السبعينية ضد فرنسا في الثالث عشر من تموز ١٨٧٠ كانت من أهم نتائجها هزيمة فرنسا في معركة سيدان في الثاني عشر من ايلول في العام نفسه ،وتم إعلان الإمبراطورية الألمانية في الاحتفال الذي أقيم بقصر فرساي في فرنسا في الثامن عشر من كانون الثاني ١٨٧١ وتوج وليم الأول إمبراطور على ألمانيا. للمزيد ينظر :جرجي افنتدي الطرابلسي، تاريخ حرب فرنسا والمانيا،ط١،مطبعة الجمالية،القاهرة،١٩١١،ص١٥-٤٧.

مروّعةٍ. وفي ظلِّ تلك الأجواء المتلبّدة لم تتوانَ السُّلطة العثمانية في التَّدخل عبر حكَّامها في الولايات إلى الإعراب صراحةً عن موقفها حول وضع الجزائريين في الإمبراطورية وأمر الجنسية العثمانية للجالية الجزائرية يَسْرِي أيضاً على عائلة الأمير عبد القادر، وأهم التعليمات التي صدرت في هذا الشأن وعبَّرت عن الموقف الرسمي للحكومة العثمانية وتضمَّنت الفحوى التالي: هناك صنفان من الجزائريين داخل الإمبراطورية، **أولاً:** الجزائريون القادمون بصورةٍ طارئةٍ ومؤقتةٍ بغرض التِّجارة والصِّناعة، **ثانياً:** الجزائريون الذين جاؤوا واستقروا في أقاليم الإمبراطورية بنيَّة عدم الرُّجوع إلى بلادهم الأصلية. **فالفئة الأولى:** لها بطبيعة الحال حقُّ طلب الحماية الفرنسية، بينما **الفئة الثانية:** التي تبنَّت فوراً الجنسية العثمانية، الشرط الذي لا يمكن الاستغناء عنه، حسب القانون، من أجل الإقامة بشكل دائم في بلاد الشام، فهم يخضعون لا محالة للنِّظام القضائي العثماني(١).

واستناداً لذلك أرسلت كل من ولايتي سوريا وبيروت ومتصرفيَّة القدس الشَّريف ١٨٨٨م إلى وزارة الخارجية العثمانية تسأل حول الإجراء اللازم بخصوص المهاجرين؛ لأنَّ قسماً من المهاجرين لا يرغبون بالحصول على الجنسية العثمانية كي لا يدخلوا بالخدمة العسكرية، اذ قام مجلس الوزراء باستدعاء الأمير محيي الدين الجزائري إلى اسطنبول عدة مرات والذي كان يرى أن تلك الآراء المعروضة حول منح الجنسية تعد من الأمور النافعة للدولة العثمانية المشار إليه لمباحثة هذا الأمر مع لجنة الوزراء المخصصة، وتمَّ عرض نتيجة المباحثات بالمضبطة اللاسيما بالأمر على العتبة العلية، ليصدر حضرة صاحب الخلافة الأمر والفرمان الهمايوني المتعلِّق بها، والأمر والفرمان في هذا الشأن في كل الشؤون لحضرة من له الأمر..."(٢). وقد جاء الرَّد بها بالنصُّ التالي: "**إن الأغلبية العظمى من الجزائريين المقيمين في سوريا أقاموا بها ملجأين بعدالة السلطنة على أن يكونوا من رعاياها، وبقيتهم اتوا على**

---

(١)كمال قيلالي، المصدر السابق ،ص١١٦-١١٧.

(2)B.O.A،i-DH،1091،85585-1/1،1305H،1888M.

شكل متفرق واحدوا مع الموجودين السابقين، ونتيجة لوقوع التحريض ادعى بعضهم أنهم تحت حماية فرنسا، وبعضهم مال إلى الجانب الفرنسي على أمل ألا يدخل الخدمة العسكرية العثمانية، الأمر الذي جعل فرنسا تتخذ هذا الأمر ذريعة لها في ادعائها حماية الجزائريين الموجودين في سوريا، ولحدوث مشكلات بسبب هذا الأمر، وقد جاء في المذكرة التي تقدم بها السفير الفرنسي لتسوية هذا الأمر بأنه سيتم التصديق على تبعية من يقر في حضور القناصل بأنه يتبع الدولة العثمانية، وسيُتثنى منهم من وافق على التبعية الفرنسية من قبل، وقد اختارت الحكومة العثمانية أن يتم إخراج من يدعى منهم أنه تحت التبعية الفرنسية من ولايتي سوريا وبيروت، ونفس المعاملة ستتم مع الموجودين في متصرفية القدس، وقد خولت الحكومة العثمانية الأمر إلى نظارة الخارجية للتباحث فيه مع السفارة الفرنسية، كما تم إعطاء التعليمات اللازمة إلى ولايتي سوريا وبيروت ومتصرفية القدس بهذا الشأن". وكان ردُّ وزارة الخارجية لولايتي سوريا وبيروت ومتصرِّفية القدس طبقًا لما ورد في إفادة محيي الدين باشا وهو من أبناء الأمير عبد القادر ومن يوالي السلطان العثماني، قد بين أن عدد الجزائريين الموجودين في ولايتي سوريا وبيروت ومتصرِّفية القدس قد بلغ (١٥٠٠٠) شخص، ونظراً لأهمية موقع ولاية سوريا فإن استمرار تلك الأحوال بها لن يسلم من المحاذير، كما أن أكثر مسألة يتهرَّب منها الجزائريون هناك هي الخدمة العسكرية، فإننا لو أعفيناهم لمدة من الوقت من الخدمة العسكرية ومنحناهم الأراضي الزراعية ومستلزمات العيش والإسكان لتنازلون عن فكرة الحماية الفرنسية ولعملوا بالفلاحة والزراعة، مما سيكون لهم فائدة كبيرة من الناحية السياسة والمدنية في المجتمع، وعلى الولاية تخصيص قطع الأراضي لهم وإعلام المهاجرين بأنهم معفون من الخدمة العسكرية لمدة عشرين عاماً، أما بخصوص ما جاء في مذكرة السفير الفرنسي بأنه لا داعي لوجود القنصل الفرنسي في منح الجنسية لمن اختار منهم الدولة العثمانية. أما الذين اختاروا التبعية الفرنسية فيتم التحقيق معهم بحضور كلٍّ من القنصل الفرنسي والمندوب العثماني وسيتم إخراجه من الولايات

العثمانية. وهذا ما تم تبليغه لولايتي بيروت وسوريا ومتصرفية القدس في هذا الشأن من أجل تسويته." [١]

وبعد التسوية ارسلت مذكرة إلى ولاية سوريا بأنه تم تقسيم المغاربة الذين أتوا إلى بلدان الدولة العثمانية إلى قسمين الأول من أتى منهم إلى البلدان العثمانية لأجل التوطن والإقامة ، وهؤلاء يعدون بمثابة الرعايا العثمانيين، أما القسم الآخر فهم من أتوا بهدف الصناعة أو التجارة وهؤلاء يعبرون تحت الرعاية والحماية الفرنسية[٢].

وتبين لنا أن الدولة العثمانية أعفت المهاجرين الجزائريين من الخدمة العسكرية وقدَّمت لهم التسهيلات حتى لا يكونوا تحت الحماية الفرنسية، كي لا تتدخل فرنسا في سوريا ولبنان بحجة حماية رعاياها. وكذلك تَبيَّن لنا أنَّ فرنسا كانت تمنع الهجرة الجزائرية من الجزائر لكن تستخدم المهاجرين الجزائريين ورقة ضغطٍ على الدولة العثمانية لمصلحتها، اذ تُبيُّن وثيقة عثمانية مرسلة من ولاية سوريا إلى الصَّدر الأعظم جاء بها "...**إنَّ حكومة فرنسا تضع مشكلات منذ مدة بعيدة حول تبعية الجزائريين الموجودين في سوريا...**"[٣].

وكذلك من خلال الوثائق رفضت السُلطات العثمانية تشكيل فرقةٍ عسكريةٍ من الجزائريين المقيمين في ولاية سورية، ربما يُفسِّر ذلك خشيتها من حدوث أيّ تطورٍ سياسيٍ لهم في المستقبل أو يكون دعماً فرنسياً لهم[٤]. وكذلك كان من ضمن المهاجرين الجزائريين من يدينون باليهودية، وأوضحت الوثائق العثمانية أنهم اعتبروا أنفسهم تحت الرعاية الفرنسية اذ جاء في نص أحد الوثائق"... **إن أكثر من يُحدث المشكلات ويدعي التبعية الأجنبية هم اليهود الذين يدَّعون أن أجدادهم هاجروا قديماً من الجزائر مع الجزائريين المسلمين، وتكثر ادعاءاتهم تلك أثناء القيام**

(1)B.O.A ،A-M k T ،MHM ،500 ،3 ،1/1 ،1307H ،1888M.

(2)B.O.A HR_HMŞ_İŞO__9_11_4_11307H ،1888M.

(3)B.O.A ،HR ،338-218931 ،1/11891M.

(4) B.O.A1 (DH.MKT ،1398- 78 -1/ 1 ،1304H ،1885M.

بالتحقيق مع أحد منهم في جنحة أو جناية، وفضلاً عن أن الولاية نفسها لا تقبل ادعاءاتهم تلك، فإن الباب العالي أيضا ينكر تلك الادعاءات اللاسيما بتبعيتهم الأجنبية، لأن كل الأوامر السامية الصادرة في هذا الشأن تقضي بأن كل الجزائريين الموجودين في سوريا من الرعايا العثمانيين، في نفس الوقت يصر الموظفون الفرنسيون على معاملتهم معاملة الرعايا الفرنسيين، ولأن مجلس إدارة الولاية قد اتخذ قراراً من قبل بعدم قبول ادعاءهم التبعية الأجنبية، فإننا نستأذنكم في الرد على رسالتنا.."[١]. وقد ارسلت برقية من ولاية سوريا إلى وزارة الخارجية العثمانية وقد ردَّت وزارة الخارجية عليها"... **بناءً على مذكرتكم تمَّت دراسة الأمر في المستشارية القانونية في الباب العالي وتبين أن مثل هؤلاء الجزائريين رعايا عثمانيين وذلك بعد صدور القرار المؤقت المذكور في مذكرتكم، ويعاملون معاملة الرعايا العثمانيين، ويُجرى أيضا ذلك على المشكوك في تبعيته، أما من ثبت في حقه التبعية الأجنبية بشكل حاسم فلا يمكن تطبيق القرار عليهم وبناء عليه أرسلنا إليكم هذا الرد...**" [٢].

وقد استمرَّت الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام ولم تنقطع بعد تسوية عام ١٨٨٨م اذ تُشيرُ وثيقة صادرة في عام ١٨٩٣م تشير إلى إسكان (١٥٠) شخص من مهاجري الجزائر الذين قدموا إلى بيروت في قضاء طبرية بلواء عكا ومنحهم الجنسية العثمانية[٣] . و استمرَّت الهجرة بفعل قانون التجديد الاجباري الذي اصدرته السلطات الفرنسية في الجزائر عام ١٩١٢ فصدى ذلك القانون يرجع لعام ١٨٥٥ لكن في حينها رفضت وزارة الدفاع الفرنسية فكرة استبدال التَّجنيد التطوعي، وطرحت الفكرة في عام١٩٠٧وهو مشروع وضع للاستفادة من الطاقات البشرية، وذلك لنقصٍ

(1) B.O.A2 (DH_MKT DH_ MKT ،1398_78_1/2 ،1307H ،1888M.

(2)B.O.A ،DH_MKT ،1597_17_2/1 ،1307H ،1888M.

(3)B.O.A ،i.D.H ،1311/ 47 ،1310H ،1893M.

في الولادات في فرنسا. وتمَّ تطبيق ذلك القانون في شباط لعام ١٩١٢ مما دفع الكثير من الجزائريين بالتفكير في الهجرة وعدم الخدمة في الجيش الفرنسي(١).

نستخلص مما سبق أن الخلاف الفرنسي العثماني لم يُحل، واستمرَّ حتى الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤؛ وذلك لاستمرار الدولة العثمانية بمنح الجنسية للمهاجرين. ولعلَّ السبب الذي كان يدفعها لتقوم بذلك هو خوفها من تدخل فرنسا في شؤون ولايات سوريا ولبنان بحجة حماية رعاياها الفرنسيين، بالمقابل كانت فرنسا تمنعُ الهجرة في أواخر القرن التاسع عشر، وشكَّلت لجان لدراسة أسباب الهجرة الجزائرية عامةً وبشكل خاص إلى بلاد الشام. وحاولت أن تكسب مكاسب سياسية في سوريا ولبنان؛ بحجة أنَّ المهاجرين الجزائريين من رعاياها. أما موقف المهاجرين من ذلك الخلاف فلم يتقبلوا أن يكونوا من رعاية فرنسا، وكذلك كانوا متردّدين في قبول الجنسية العثمانية؛ بسبب دخول أبنائهم بالخدمة العسكرية في الجيش العثماني، لاسيما أنَّ الدولة العثمانية كانت في حربٍ مستمرَّةٍ لاسيما مع روسيا في تلك الحقبة، مما دفع بالدولة العثمانية لتقديم تسهيلاتٍ لهم بإعفاء أبنائهم من الخدمة العسكرية لمدة من الزمن، وكذلك منحهم أراضي زراعية. وبذلك تمكَّنت الدَّولة العثمانية من كسب أغلب المهاجريين الجزائريين لجانبها، ولكن استمرَّت فرنسا بافتعال المتاعب لها حتَّى الحرب العالمية الأولى.

ج:الأوضاع الاقتصادية للمهاجرين الجزائريين

كانت الزراعة أحد أهم النَّشاطات الاقتصادية الرئيسة التي عمل بها المهاجرون الجزائريون في سوريا ولبنان. وكانت طريقة حيازة الأرض الزراعية في دمشق وباقي المدن في بلاد الشام منذ القرن التاسع عشر حتى خروج العثمانيين منها يتمُّ ببيع

(١) نادية طرشون، الهجرة الجزائرية في مطلع القرن العشرين، مجلة الدراسات التاريخية، العدد ٢٧، جامعة دمشق، لعام، ١٩٨٧، ، ص١٦١_١٦٦.

الأراضي بالمزاد العلني[١]. لكن أراضي المهاجرين الجزائريين كانت منحة من قبل الدولة العثمانية لهم في بلاد الشام، فأعطتهم الأراضي الخصبة القريبة من نهر الأردن واليرموك وبردى، وكانت مساحتها أكثر من قدرتهم على الاستثمار وقليلة الانتاج[٢].كانت الدولة العثمانية متأخرة في المجال الزراعي، اذ أن الزِّراعة لم تتطوَّر فيها منذ عشرات سنوات، وبخصوص بلاد الشام فإن اقتصادها كان يتعرَّض لضربٍ مبرمجٍ سواء من إسطنبول أو الدول الكبرى. وإعفاء المهاجرين الجزائريين من الخدمة العسكرية لمدة طويلة نسبياً تذهب أدراج الرياح. وكانت ما بين أعوام ١٨٧٠-١٨٨٠م من أسوء أعوام القرن التاسع عشر في المنطقة، حتى أن حركة موانئ التَّصدير في بيروت وحيفا ويافا وصلت إلى أدنى حَدِّها. وفي العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر والعقد الأول في العشرين بدأت الصِّراعات السِّياسية في اسطنبول نفسها، وفي العقد الثاني من القرن التاسع عشر ومع حدوث المجاعة في بلاد الشام وحتى الحرب العالمية الأولى، وابتعاد الجزائريين عن الوظائف الحكومية؛ كل ذلك أسهم في إبقاء الأيدي العاملة في الأرض، ولكن تخلف الزراعة وكثرة القلاقل في البلاد كانت عوامل تجعل تلك الجهود الفردية لا تعطي ثماراً كبيرة. أما حين يضطرب الموسم فإن أعداداً كبيرةً جداً من المهاجرين الجزائريين سيموتون جوعاً لولا ذلك الموقع الممتاز الذي اختاره الأمير عبد القادر بالقرب من تلك الأنهار، فالمجاعة التي ضربت المنطقة كانت أقل تأثيراً عليهم من غيرهم[٣].

كان بعضهم يعملُ بالصِّناعات الحرفيَّة، وأغلب تلك المهن هي الصِّناعات النسيجية، وقد تحوَّل (باب السويقة) إلى شبه مصنع للغزل والنَّسيج بكل أنواع المنسوجات ولاسيما القطنية، والبعض الآخر كان يعمل في أفران الخبز، بالإضافة

---

(١)نايف صياغ، الحياة الاقتصادية في مدينة دمشق في منتصف القرن التاسع عشر، ط١، منشورات وزارة الثقافة السوريا، دمشق، ١٩٩٥، ص٢٢.

(٢)سهيل الخالدي، المصدر السابق، ص٣٢٥.

(٣)المصدر نفسه، ص٣٢٦.

إلى حرف أخرى قد اشتهر بها الجزائريون هي (حرفة صناعة الاحذية). وكذلك عملوا في التجارة ولاسيما تجارة التبغ، ومن ليس له حرفة أو عمل في الزراعة فكان يلتحق بالجيش العثماني[١]. وكانت من العوائل الميسورة الحال هي عائلة عبد الرحمن المرابط وأبناؤه التي هاجرت إلى دمشق عام ١٨٦٣، اذ قامت بشراء المنازل والأرضي الزراعية، وكان يوسف الابن الأكبر يملك الأراضي في (القابون) وكان أخوه يحيى يعدُّ من الملاَّكين ووجهاء البلد[٢].إلا أنَّ معاناتهم الحقيقية بدأت مع الاحتلال البريطاني والانتداب الفرنسي، وضغطت فرنسا طوال احتلالها لسوريا منذ العام ١٩٢٠على الجزائريين ضغطاً اقتصادياً رهيباً بقصد تطويعهم وإجبارهم على تغيير مواقفهم ضدها ونتيجة ذلك قابل وفدٌ من المغاربة المقيمين في دمشق المندوب السامي وطلبوا منه إيجاد عمل لهم إما بالانخراط في الجيش وإما بتوظيفهم حراساً في البلدية، أو السماح لهم بالهجرة إلى تركيا التي تكرم وفادتهم على ما يقال وتمنحهم الأراضي الزراعية. ومن الواضح أن فرنسا زادت من ضغوطاتها الاقتصادية على الجزائريين وعموم المغاربة في سوريا في أعقاب الثورة السورية الكبرى١٩٢٧-١٩٢٥ بسبب مشاركتهم الواسعة في تلك الثورة[٣].

وهكذا وعلى الرغم من تلك الصُعوبات التي واجهت الجزائريين، لكنهم استطاعوا أن يؤثروا بشكلٍ واضحٍ في المجتمع الدِّمشقي لاسيما وبلاد الشام عامة، اذ اندمجوا في المجتمع الشامي أسهموا في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والفقهية في سوريا، وسوف نبيِّن تفاصيل ذلك النشاط في الفصول القادمة.

---

(١)نادية طرشون، الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي، ص١٣٠.

(٢)جواد المرابط، التصوف والامير عبد القادر الحسني الجزائري، ط١، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، ٢٠٠٧، ص ١٩.

(٣) سهيل الخالدي، المصدر السابق، ص٣٢٦.